ذلك، والجدَّ صِدْقُ القيام في كل شيء، تقولُ: جَدَّ في السَّيْرِ وجَدَّ في إغاثةِ زيد وفي نُصْرَتِهِ ولا يقال: انْكَمَشَ في إغاثة زيدٍ ونُصْرَتِهِ إذ ليس بها تصحُّ فيه السُّرْعةُ.

البابُ الثاني والعشرون

في الفَرْقِ بَيْنَ الحِيلَةِ والتَّدْبيرِ، والسِّحْرِ والشَّعْبَذَةِ[1]، والمَكْرِ والكَيْدِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ ذَلكَ، وبَيْنَ العُجْبِ والإمْرِ وَمَا بسبيله

«الفرق» بين الحِيلةِ والتَّدْبيرِ أن الحِيلَة ما أُحيل به عن وجهه فيجلبُ به نَفْعٌ أو يُدْفَع به ضرٌّ، فالحيلةُ بقدر النفع والضُّرِّ من غير وجه وهو في قول الفقهاء على ضَرْبين: محظورٌ، ومباحٌ فالمباح أنْ تقولَ لمن يحلف على وطء جاريته في حال شرائه لها قبل أن يشتريها: اعْتقها وتزوجها ثم طأها وأن تقول لمن يحلف على وطْء امرأته في شهر رمضان أخرج في سفر وطأها. والمحظورُ أن تقولَ لمَنْ تركَ صلواتٍ ارْتَدَّ ثم أسْلَم يسقط عنك قضاؤها، وإنما سُمِّي ذلك حيلةً لأنه شيء أُحيلَ من جهةٍ إلى جهة أُخرى ويسمَّى تدبيرًا أيضًا. ومن التدبير ما لا يكون حِيلةً وهو تدبيرُ الرجل لإصلاح ماله وإصلاح أمر ولده وأصحابه، وقد ذكرنا اشتقاق التدبير قبل.

«الفرق» بين السِّحْرِ والشَّعْبَذَةِ أنَّ السحرَ هو التمويهُ وتخيل الشيء بخلاف حقيقته مع إرادة تجوُّزه على من يقصده به وسواءٌ كان ذلك في سرعة أو بطء، وفي القرآن: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] والشَّعْبَذَةُ ما يكون من ذلك في سرعة فكلُّ شَعْبذةٍ سحرٌ وليس كلُّ سحرٍ شَعْبذَةً.

«الفرق» بين السِّحْرِ والتَّمْويهِ أن التَّمويهَ هو تغطيةُ الصواب وتصويرُ الخطأ بغير صورته، وأصله طِلاءُ الحديد والصُّفْرِ[2] بالذهب والفضلة ليوهم أنه ذهبٌ وفضةٌ، ويكونُ التمويهُ في الكلام وغيره تقول كلام مموَّهٌ إذا لم تبين حقائقه، وحُليٌّ مموَّه إذا لم يعين جنسه، والسِّحْر اسمٌ لمادقَّ من الحيلة حتى لا تفطنَ الطريقة، وقال بعضُهم: التَّمويهُ اسمٌ لكل حيلةٍ لا تأثير لها، قال: ولا يقال تمويه إلا وقد عرف معناه والمقصد منه، ويقال: سحر وإن لم يعرف المقصد منه، ولهذا قيل: التمويهُ ما لا يثبتُ، وقيل: التمويهُ أن ترى شيئًا مجوز له بغيره كما يفعل مموَّه الحديد فيجوزه بالذهب، وسَمَّى النبيُّ ﷺ البيانَ سِحْرًا وذلك أن البليغَ يبلغُ ببلاغته ما لا يبلغُ الساحرُ بلطافةِ حيلته.

«الفرق» بين العُجْبِ والإمْرِ أن الإمْرَ العجبُ الظاهرُ المكشوفُ، والشاهد أن أصل الكلمة

(١) الشَّعْبَذَةُ: شَعْبَذَ شَعْبَذَةً: مهر في الاحتيال وأرى الشيء على غير حقيقته معتمدًا على خداع الحواس. وزيَّن الباطلَ لإيهام أنه حق. فهو مُشَعْبِذ.

(٢) الصفر: بضم الصاد المشددة وإسكان الفاء: النحاس الأصفر.

الظهور ومنه قيل للعلامة الإمارة لظهورها والإمْرةُ والأمارة ظاهر لحال، وفي القرآن: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾[الكهف:٧١].

«الفرق» بين العُجْب والإدّ أن الإدّ[١] العجب المنكر، وأصله من قولك: أدَّ البعيرَ كما تقول نَدَّ أي شرد، فالإدُّ العجب الذي خرج عما في العادة من أمثاله، والعُجْبُ استعظام الشيء لخفاء سببه والمعجب ما يستعظم لخفاء سببه.

«الفرق» بين العجب والطَّريف أن الطَّريفَ خلافُ التَّليدِ وهي ما يستطرفه الإنسان من الأمور، والتَّليدُ المال القديم الموروث من المال أعجب إلى الإنسان سمي كل عجيب طريفًا وإن لم يكن مالًا.

«الفرق» بين الخَدْعِ والكَيْد أن الخَدْعَ هو إظهار ما ينطق خلافه أراد اجْتِلابَ نفع أو دَفْع ضرٍّ، ولا يقتضي أن يكونَ بعد تدبُّرٍ ونظرٍ وفِكْرٍ، ألا تَرى أنه يقال خَدَعهُ في البيع إذا غشَّهُ من جُشَاء، وهمه الإنْصاف وإن كان ذلك بديهة من غير فكر ونظر؟ والكيد لا يكون إلا بعد تدبُّرٍ وفكْرٍ ونَظرٍ، ولهذا قال أهل العربية: الكيدُ التدبيرُ على العدُوِّ وإرادةُ إهْلاكِه، وسُمِّيتِ الحيل التي يفعلها أصحابُ الحروب بقصد إهلاك أعدائهم مَكايدَ لأنها تكونُ بعد تدبُّر ونظر، ويجيء الكيد بمعنى الإرادة وهو قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[يوسف:٧٦] أي أردنا، ودل على ذلك بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الأنعام:١١١] وإن شاء الله بمعنى المشيئة، ويجوزُ أن يقال الكَيدُ: الحيلةُ التي تقرب وقوع المقصود به من المكروه وهو من قولهم كَاد يفعل كذا أي قَرُبَ إلا أنه قيل في هذا يكَادُ وفي الأولى يَكِيدُ للتصرف في الكلام والتفرقة بين المعنيين، ويجوز أن يقال: إن الفرقَ بين الخَدْعِ والكَيْدِ أن الكَيْدَ اسمٌ لفعل المكروه بالغير قَهْرًا، تقول: كَايَدني فلانٌ أي ضَرَّني قَهرًا، والخَدِيعةُ اسمٌ لفعل المكروه بالغير من غير قهر بل بأن يريد بأنه ينفعه، ومنه الخديعة في المعاملة وسَمَّى اللهُ تعالى قَصْدَ أصْحَابِ الفيل مَكَّةَ كَيْدًا في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾[الفيل:٣] وذلك أنه كان على وجه القهر.

«الفرق» بين الخَدْعِ والغُرور أن الغَرورَ إيهامٌ يحملُ الإنسانَ على فعل ما يضرُّهُ مثل أن يرى السَّرابَ فيحسبه ماءً فيضيع ماءه فيهلك عطشًا وتضييع الماء فعل أداه إليه غرور السراب إياه، وكذلك غرور إبليس آدم ففعل آدم الأكل الضار له. والخدع أن يستر عنه وجه الصواب فيوقعه في مكروه، وأصله من قولهم خدع الضَّبُّ[٢] إذا توارى في جُحْره وخدعه في الشراء أو البيع إذا أظهر له خلاف ما أبطن فضرَّه في ماله، وقال عليُّ بن عيسى: الغرورُ إيهامُ حال السرور فيما الأمر بخلافه في المعلوم وليس كل إيهام غرورًا لأنه قد يوهمه مخوفًا ليحذر منه فلا يكون

(١) الإد الأمر الداهي المنكر. قال تعالى: ﴿لقد جئتم شيئا إدا﴾ مريم ٨٩

(٢) الضب حيوان من جنس الزواحف غليظ الجسم خشن الجلد ذنبه طويل عريض. يكثر في صحاري الأقطار العربية

قد غرَّه، والاغْتِرارُ ترك الحزم فيما يمكن أن يتوثق فيه فلا عذر في ركوبه، ويقال في الغرور غرَّه فضيع ماله وأهلك نفسه، والغرور قد يسمَّى خَدْعًا، والخَدْعُ يسمى غرورًا على التوسع والأصل ما قلناه، وأصْلُ الغرور الغفلةُ، والغر الذي لم يجرب الأمور يرجع إلى هذا فكأن الغرور يوقع المغرور فيما هو غافل عنه من الضرر، والخَدْع مرجع يستر عنه وجه الأمر.

«الفرق» بين الكَيْدِ والمَكْرِ أن المكْر مثل الكيد في أنه لا يكون إلَّا مع تدبُّرٍ وفِكْرٍ إلَّا أن الكَيْدَ أقوى من المكر، والشاهد أنه يتعدَّى بنفسه، والمكْرُ يتعدَّى بحرف فيقال كَادَهُ يكيدُه ومكَرَ ه ولا يقال مكَرَ به ولا يقال مَكَرَهُ والذي يتعدَّى بنفسه أقوى، والمكْرُ أيضًا تقديرُ ضرر الغير من أن يفعل به، ألَا ترى أنه لو قال له أقدرُ أن أفعلَ بك كذا لم يكنْ ذلك مَكْرًا وإنما يكونُ مَكْرًا إذا لم يُعْلِمهُ به، والكَيْدُ اسم لإيقاع المكْرُوه بالغير قَهْرًا سواء علم أو لا، والشاهدُ قولك فلانٌ يكايدني فسمى فعله كَيْدًا وإن علم به، وأصْلُ الكَيْدِ المشقَّةُ، ومنه يقال: فلانٌ يكيدُ لنفْسِهِ أي يقاسي المشقَّةَ، ومنه الكيد لإيقاع ما فيه من المشقَّة ويجوزُ أن يقال الكيد ما يقرب وقوع المقصود به من المكْرُوه على ما ذكرناه، والمكْرُ ما يجتمع به المكروه من قولك: جاريةٌ ممكورة الخلق أي ملتفَّة مجتمعة اللحم غير رَهْلةٍ[1].

«الفرق» بين الحِيلَة والمكْرِ أن من الحيلةِ ما ليس بمكْرٍ وهو أن يقدر نفع الغير لا من جهة فيُسمَّى ذلك حيلةً مع كونه نَفْعًا، والمكْرُ لا يكون نَفْعًا. وفرقٌ آخر وهو أن المكر يقدر ضرر الغير من غير أن يعلم به وسواء كان من وجهه أولا، والحيلةُ لا تكون إلا من غير وجهه، وسمى الله تعالى ما توعد به الكفار مكْرًا في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف:٩٩] وذلك أن الماكرَ ينزل المكروهَ بالمَمْكُور به من حيث لا يعلم، فلمَّا كان هذا سبيل ما توعدهم به من العذاب سمَّاه مكْرًا، ويجوز أن يقال سمَّاه مكْرًا لأنه دبَّرهُ وأرْسَلَهُ في وقته، والمكْرُ في اللغة التدبيرُ على العَدُوِّ فلمَّا كان أصلُهما واحدًا قام أحدهما مقامَ الآخر، وأصْلُ المكر في اللغة الفَتْلُ[2] ومنه قيل جارية ممكُورَة أي مُلْتفَّةُ البَدَن وإنما سُمِّيت الحيلة مكْرًا لأنها قِيلتْ على خِلاف الرشد.

«الفرق» بين الغَرَرِ والخطر أن الغرَر يفيد ترك الحَزْم والتوثق فيتمكَّن ذلك فيه والخطر ركوب المخاوف رجاء بلوغ الخطير من الأمور ولا يفيد مفارقة الحَزْم والتوثُّق.

(١) الرَّهلة: رَهِل لحمهُ رَهَلًا اضطرب واسترخى وانتفخ وورم من غير داء، فهو رَهِلٌ وهي رَهِلة

(٢) الفَتْلُ ما يكون مفتولًا من ورق الشجر غير مبسط